بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة - 7 -

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله، وآله وصحبه ومَنْ والاه، سبحانك لا علم لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم.

أحبّتي في الله سبحانه، قلتُ فيما مضى إنّي لا أريد أنْ أتحدّث كثيرًا عن أمور ربّما لا تُعيننا على الجانب التطبيقي في الحياة، وخاصّة في مجال الدّعوة إلى الله جلّ في علاه، المعلومات كثيرة، ومَنْ رجع إلى كتب السيرة قد يرى روايات كثيرةً، وأخبارًا جليلة وعظيمةً، ورُبَّ بعض المؤلفين رضي الله تعالى عنكم وعنهم، جمعوا كثيرًا منها، منها الصحيح، ومنها الحسن، ومنها دون ذلك.

ولكنّي في هذه المشورة، وهذا اللقاء الذي يُوسم بلقاء المشورة، نسأل الله جلّ وعلا أنْ يتقبّلنا من أهلها، من أهل المشورةِ، أُريد الجانب التطبيقي؛ لأنّه يُعنى بواقع النّاس، بواقع أمّة سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وينبغي أنْ نتذكّر بأنّني أعتبر كلّ مَنْ يعيش على الكرة الأرضية هم من أمّة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام وآله وصحبه الكرام.

بمعنى أنّهم مدعوُّون لهذا الدين، دين الإسلام، كلُّ مَنْ يعيش على هذه الكرة الأرضية منذ بعثته صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه، إلى آخر نسمة تحيى على هذه الأرض هم من أمّة سيّدنا محمد عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه أهل المجد والسؤدد.

أي أمّة الدعوة، وأرجو أنْ تنتبهوا لهذا الكلام، لأنّه ربّما يؤوّلُه البعض بما لا يليق بالمقام، هذه أمّة الدعوة، الذي استجاب لله جلّ في علاه ولرسوله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، أصبح من أمّة الإجابة، أي دخل في كيانه أجمعين جسمًا وروحًا، وتشرّف بأنّه منسوب إلى سيّدنا رسول الله عليه

الصلاة والتسليم وآله وصحبه الميامين، بإيمانه واستسلامه واستجابته لأمر الله عزّ وجلّ، ومَنْ بقي دون الاستجابة، أي لم يستجب فهو من أمّة الدعوة، لأنّ هذا لا ينتظر أنْ يأتيه نبيٌّ آخر فيدعوهُ إلى الله تعالى، فلا يزال هو مدعو أينما كان، ومن أيّ قوم كان، حتى لو قال إنّي نصراني أو يهودي نعوذ بالله سبحانه، أو مجوسي أو ملحد، فهو من أمّة الدعوة.

لذلك هذا التقسيم يوجب علينا أيّها الأحبّة أنْ نقصِد هؤلاء، ونتوجّه إلى هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله عزّ وجلّ ولرسوله المبجّل صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه الكُمَّل، لأجل أنْ نؤكّد الدعوة إليهم؛ لأجل أنْ نكشف شُبَههم؛ لأجل أنْ نطرد ظلام الجهل وغشاوة الافتراءات عن قلبه؛ لعلّه يستجيب، فنكون قد أنقذنا هؤلاء من النّار.

فهذا المفهوم الذي ندعو إليه يوجب علينا أنْ نتحرّك بكلّ إمكاناتنا وطاقاتنا، وأنْ نتخلّى عن كثير من سيّئاتنا وتقصيرنا وانشغالنا بحوادث ومسائل لو دققنا فيها لرأيناها هي تجسيد إمّا لنزغات الشياطين، أو لوسوسة النّفس الأمّارة بالسوء نعوذ بالله تبارك تعالى، أو التعلّق بهذه الدنيا الفانية، هذه الأسباب الثلاثة التي قد نغفل عنها تسبّب لنا هذه الإرباكات في حياتنا في الدعوة إلى الله سبحانه، يعني أحبّتي كيف أستطيع أنْ أفهم مثلًا أنّ إنسانًا يُعنى بخلاف بينه وبين شخص لمدّة أسابيع، أو شهور، قصدي بـ (يُعنى) ينشغل ويبني على هذا الخلاف فرضيّات وتوجهّات وتصرّفات وتحرّكات، طيّب أين هذا المسكين من قوله تعالى:-

{--- وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [سورة الانفال: 46].

وأين هو من قوله عزّ شأنه:-

{--- وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ---} [سورة آل عمران عليهم السلام: 103].

انظر إلى عِظم هذه الغفلة نعوذ بالله تبارك في علاه.

فمن أين هذه؟ الشيطان يريد أنْ يفسد بين المسلمين، بين المؤمنين، وبين مَنْ سلك الطريق إلى ربّ العالمين سبحانه تحت إشراف مربٍّ مرشدٍ موصول اليد بحضرة خاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، فكيف أفهم بقاء العداوة، وإفرازاتها حقيقة لا تخفى على حضراتكم من سهر الليالي، ومن الحقد، من الحسد، من الغيبة، من النميمة، وكلّها إفرازات لهذه العداوة، فأين انتباهته لخطورة هذا التصرّف الذي يُعرقِل عجلة الدعوة إلى الله جلّ جلاله في ذاتنا، وفي أسرتنا الرّوحيّة، وفي واجبنا الشرعيّ.

في ذاتنا مثلًا: يعني زيد من النّاس لمّا يُبتلى بهذا الابتلاء نعوذ بالله تبارك اسمه ما أتصوّر أنْ يصلّي تلك الصلاة التي فيها الطمأنينة، والتي ينال فيها درجات عالية من الأجر، لا أعتقد -والله تعالى أعلم- أنّه ينعم بنعم الله سبحانه عليه؛ هذه كلّها قد صارت خناجر في ذاته، والعياذ بالله جلّ وعلا.

في أُسْرَتِنَا الروحية: إذا كان أحد السالكين مثلًا عنده مشكلة مع أخيه المسلم، وهو يعيش مع هذه المشكلة لمدّة أسبوع، لا أقول أكثر، نعوذ بالله سبحانه، ونسأله جلّ جلاله أنْ يرزقنا الرشاد والثبات والهمّة العالية لإطفاء نيران الفتن فيما بيننا.

فهل هذا يعيش هذا الأسبوع مطمئنًّا مع أهله، مرتاحًا مستأنسًا؟

إذن صارت عنده مشكلة أخرى في أسرته، في حقّ ذاته ذكرنا المشكلة أو المشاكل، وفي حقّ أسرته، وفي حقّ المجتمع، فإذا كنّا قد فهمنا أنّ هذه المجاميع من البشر الذين يعيشون على الكرة الأرضية نتحمّل مسؤولية مجموعةٍ منهم على حسب قدرتنا وطاقاتنا فماذا سنغيّر من هؤلاء؟

فإذن هذا يخالف قول الله عزّ وجلّ:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة النور: 21].

هذا إذا كان السبب وسوسة الشيطان، نزغة شيطان، فما بالك إذا كان السبب وسوسة النّفس الأمّارة بالسوء؟

فأين المجاهدة للنّفس؟ وأقلّ مراتب مجاهدة النّفس أنْ تحاصرها وتقلّل شرّها، مثل فئة مجرمة في المجتمع هل نطلق لهم العنان؟ لا، بل نحاول أنْ نقيّد أياديهم، نحاول أنْ نسجنهم، ثمّ نبدأ بإصلاحهم، فإنْ أَبَوا نبدأ ببترهم، أو على الأقلّ بتشديد الحجر عليهم؛ لأجل أنْ لا يلوّثوا ويؤذوا الآخرين، والعالم الآن من شرقه إلى غربه، من شماله إلى جنوبه، من حكومات ومؤسسات ومختصون كلّهم منشغلون لأجل أنْ يوقفوا شرّ هذا الوباء، لماذا؟ لأنّ شرّه وبيل، في أيّ يوم سمعتُ أنّه في ألمانيا، الدولة الراقية المتمدّنة، يموتون 900 فردٍ؟! هذا من غير الذين يموتون بغير الفيروس، لكن هذا موت بالوباء والعياذ بالله تبارك تعالى، فلو أُطْلِقَ العنان لهذا الفيروس ربّما يصل الأموات إلى الآلاف في اليوم الواحد، وإذا بستة أشهر شعب كامل يُمحى من الكرة الأرضية، فهل هذا الخطر يُترك بهذا الشكل؟ لا، ما يترك.

فإذن: إذا قلنا: إنّ السبب الغفلة عن النّفس الأمّارة بالسوء، (وهذه طامّة كبرى، خاصّة إذا كان سالكًا)، فمعنى ذلك أنّه أطلق العنان لأعدى عدوّه، كما قال عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين:-

(أَعْدَى عَدُوٍّ لَكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ) الإمام أبو داود رحمه المعبود جلّ ثناؤه.

فاذا كنت غافلًا عن هذا العدوّ، فماذا سيفعل؟ يفسد ويخرّب، ونحن كعراقيين غفلنا عن أعدائنا فماذا حصل؟ أين العراق الآن؟ ذاك لأنّنا غفلنا عن العدوّ، فجاس خلال الديار، فأفسد ودمّر وقوّى الأشرار.

إذا كانت العلّة هي الانشغال بالدنيا، بمعنى أنّ أحدهم ليس عنده هدف -وهو سالك- سوى أنّه منشغل كيف يشتري سيّارة راقية، وذلك غير ممنوع، إنْ كان عندك نقود اذهب للمعرض واشترِ سيّارة، فالسيّارة ليست هدفًا، إنّما وسيلة، أمّا إذا لم يكن عندك نقود فارضَ بما قدّر الله تعالى لك، حتّى لو تركب دراجة، فهذا

ليس عيبًا، والدي رحمه الله عزّ وجلّ، كان يركب الدراجة إلى أنْ مات، في اليوم الذي مات فيه واستشهد ذهب إلى المسجد على الدراجة، لم يكن عنده سيّارة، فهل قال:- أنا أترك خدمة المسجد، والدعوة إلى الله تعالى، لأنّي لا أملك سيّارة؟! ومسجده كان بعيدًا، يبعد عن بيتنا تقريبًا كيلو ونصف أو أكثر، ورجل عمره بالثمانينات، ليست قليلة هذه المسافة، فالانشغال بالدّنيا بما يبطّئ، أو يوقف عجلة الدعوة إلى الله جلّ وعلا، هذه مثلمة أحبّتي في الله عزّ وجلّ.

فإذن: هذه العلل الثلاث إذا لم ننتبه لها فستؤذينا في كياننا الذاتي، كشخص أنت ـ لا قدّر الله تعالى- تؤذيك، تؤذينا في أُسَرِنَا، تؤذينا في مجال الدعوة إلى الله سبحانه.

فما هو الحلّ؟ الحلّ أنْ نكون منتبهين يقظِين لمثل هؤلاء الأعداء، فهؤلاء الأعداء رئيسيّون جدًّا، النّفس، الدنيا، الشيطان، وحسب رأيي أنّهم مرتبُون بهذا الترتيب، فأخطرهم النّفس، وهنا لا يوجد اجتهاد لأنّه عندنا نصّ، لأنّ سيّدنا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم قال:-

(أَعْدَى عَدُوٍّ لَكَ نَفْسُكَ الّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ) الإمام أبو داود رحمه المعبود جلّ ثناؤه.

لأنّها أقرب شيء لك، وملازمة لك، وهي طاقة من طاقات روحك، وطالما روحك لها تعلّق بجسدك بهذا التعلّق الدنيوي؛ فهذه الطاقة موجودة، النّفس الأمّارة بالسوء، يعيش معك هذا العدوّ على مدار الساعة، فهو أعدى عدوّك، ثمّ طاقات النّفس الأمّارة بالسوء نعوذ بالله تعالى، في السوء طاقات هائلة جدًا، تختلف عن طاقة الانشغال بالدنيا، وكذلك عن طاقات الشياطين.

ثانيًا:- الدنّيا، وأنتم تقرؤون القرآن الكريم والحمد لله، فكم يأمرنا ويبيّن لنا حقيقة الدنيا؟ واليوم ضرب الله عزّ وجلّ للبشرية كلّها مثالًا واقعيًا، هذه هي الدنيا التي كنتم تركضون من أجلها، هذه هي، انظروا كيف تركتكم؟ فهي دار الغرور، فلا تغترّ بها:-

{فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [سورة لقمان عليه السلام: 33].

فلذلك جاء التحذير، وجاء التنسيق، وجاء التوجيه، كيف تستثمر الدنيا؟ وكيف تتعامل معها؟ فالدنيا مطيّة للدار الآخرة.

ثالثاً:- الشيطان، ثمّ بعد ذلك أضعفها هو الشيطان، وربّ العالمين تعالى شأنه قال، ولا يوجد هنا اجتهاد لوجود النصّ:-

{--- إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [سورة النساء: 76].

{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة الأعراف: 200]

بكلّ صدق إذا قلتَ أستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد انقطعت وسوسته واختفى، فما مناسبة هذا الكلام الآن ونحن نتحدّث ونتشرّف بحضرة خاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه المكرمين، في المرحلة الثانية؟

علاقة هذا أحبّتي أنّه أنت تلاحظ أنّ سيّدنا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، لمّا جاءه ما جاءه من رحمة الله عزّ وجلّ في الغار ماذا صنع؟ بدايةُ العمل الروحي تكون فيها من الثقل، وفيها من الجمال، ربّما تقولون هذا كلام متناقض! كيف ثقل وجمال؟! لا، أحيانًا الثقل يكون جمالًا، يعني أنت عندما تحبّ جامعك، وتذهب وتشمّر عن ساعدك، وتنظّف وترتّب حتّى محلّات الوضوء، وفي جوّ بارد، أو جوّ حار جدًّا، في هذا العمل ثقل معنوي، فربما أنت إمام وخطيب كيف أنظّف الحمامات؟ إذا رآني مصلٍّ ماذا يقول عنّي، ربّما يزدريني وينتقصني، حاشاكم، قد يكون عند بعض النّاس هذا التوجّه، فهذا ثقل لكنّك عندما عملتَ هذا العمل الثقيل استذكرتَ بأنَّ هذا تشريف لك، وأنّ هذه الوظيفة امتداد لوظائف الأنبياء عليهم السلام، ولوظيفة سيّد الخلق عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، فأنت في جَمَال وأُنْسٍ، إذا استذكرتَ يا سعد الله، إذا شعرتَ أنّك أصابتك نعوذ بالله تعالى وسوسة نفسية بأنْ ترى أنّك مرشدٌ وعالمٌ ودكتور وهكذا، مُجاز بالإجازتين، وقلتَ: إنّ هذه النفس لابُدّ لها من تأديب، وبدأتَ بهذه الوظيفة فأنتَ الآن في جَمَال يا سعد الله، وستشعر بذلك، لأنّك في مجاهدة، فهذه مجاهدة ممتازة وناجحة.

فإذن هناك ثِقَلٌ، ولكن هذا الثقل مَشُوْبٌ بالجَمَال، مَشُوْبٌ بالكمال.
فبعد ذلك اللقاء المبارك العظيم فَتَرَ الوحي، وسيّدنا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، ماذا فعل بعد أنْ فتر الوحي؟
هل قال: الحمد لله ارتحتُ، لا يوجد تكاليف، لأذهب وأعود إلى تجارتي، وإلى زوجتي الحبيبة، وإلى أصحابي وأصدقائي أسْمُرُ معهم، وهكذا؟ لا، مع هذا الثقل عاد يرجف فؤاده عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، ويقول:-
(زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَدَثِّرُونِي) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.
ومع هذا هو متطلّع لهذا الأمر، وهو محبّ لهذا الأمر، هو متمسّك بهذا الأمر؛ لأنّ التشريع بدأ الآن، وكلّ وأحواله وأنفاسه وتصرّفاته فيها تشريع، وهذا التشريع قد يكون واجبًا، أو سنّة، أو مباحًا، أو محرّمًا، قد يكون مبيّنًا أنّ هذا الأمر مكروهٌ، أو مستحبٌّ، إلى آخره من الأحكام التي لا تخفى على علومكم الشريفة، وهذا المَلْمَح أرجو أنْ يكون واضحًا، ومن الممكن أنْ ترجع وتسمع المشاورة مرّة أخرى، أو تكتب هذه العبارات وتأمّل فيها.
إذن: ثقل أدّى إلى رجف الفؤاد، أدّى إلى دعوة أنْ زمّلوني دثّروني، ولكن بعد ذلك كلّه تحرٍّ، تثبّت، ومجاهدة، وليس هو فقط، وإنّما هو وزوجته عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، ورضي الله تعالى عنها.
الذهاب إلى مصادر ربّما تعين في فهم الأمر، لماذا هذا الأمر هكذا ثقيل؟ لماذا هو محبوب مع ثقله؟ كيف تعلّق القلب به؟ وهذا كلّه من آثار الرّوحانية التي قال عنها بعض أهل الذوق:-
إنّه لمّا ضمّه سيّدنا جبريل عليه السلام، والشحنات الروحية مختلفة، وفعلًا المَلَكُ مَلَكٌ، والرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه الثقات العدول، بَشَرٌ، وهذه ليست منقصة، وإنّما بيان صنف، فهو بشري، وسيّدنا جبريل عليه السلام صنفه ملائكيّ، فالذبذبات الروحانية مختلفة، أمّا أيّهما أعلى وأرقى، فهذا عند الله جلّ وعلا، نحن لسنا مكلّفين بأنْ نبحث في هذه المسائل، ولكن ما يبدو لي،

بذوق المتذوقين، ولا يوجد مانع وخاصّة هو مع أحبابه أنْ يُقال هذا الكلام، ولكن هذه ليست ثوابت، حتى لا يأتي أحد فيقول: ما الدليل على هذا؟ هذه مسائل ذوقية، ذبذبات قلب الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب أعلى، لأنّ:-

{--- اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ---} [سورة الأنعام: 124].

{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} [سورة طه: 41].

هذه الرّوحانية العظيمة العالية لأجل تَلَقِّي كلام رب البرية سبحانه، مع وجود صفة البشرية، وهذه هي المشكلة (صفة البشرية) لأنّها تدعو إلى أشياء قريبة من الجانب السلبي في الحياة، ولا أستطيع قول كلمة أخرى، والمَلَك ليس عنده هذه المشكلة، ولا يوجد عنده دوافع نفسية، ولا يوجد في روحانيته طاقة تسمّى النفس الأمّارة بالسوء، ولا أقصد بذلك وجودها عند سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، أستغفر الله العظيم، ولكن لأنّه بشر تبقى هذه النوازع، وهذه الله جلّ وعلا بيّنها لنا في المرحلة الأولى، عندما أراد أنْ يذهب ويسمُر مع أهل مكة، أو يكشف ستره وإزاره ليحمل الحجارة، فهذه الروحانية بدأت تستكشف جزءً من النبوة، جزءً من ستٍّ وأربعين جزءً من النبوّة، وهي الرؤيا الصادقة، فبدأت تحنّ إلى الخلوة والتأمّل والتدبّر، فعندي روحانيته الشريفة صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه، أرقى من روحانية الملائكة، وهذا لتفهموها، ففي الأحكام جمهور العلماء قالوا: إنّ الإنسان المطيع هو أفضل من الملائكة.

إذن: هذه الذبذبات الروحية مختلفة، وحتّى تتناغم وتتعاشق وتتناسب فإنّها تحتاج إلى هذا الضمّ، وهذه كلّها تُشعِر بثقل في التكليف الذي بيّنه ربّ العالمين سبحانه بقوله:-

{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [سورة المزمل: 5].

ويدعو إلى الجمال لأنّ الروحانية بدأت تُستثمر أكثر، وطاقاتها صارت أعلى، الآن بهذه الروحانية دخل في مجال الملائكية، بدأ يشاهد المَلَك، بدأ يتحسّس المَلَك، وإنْ كان لم يقطع مَنْ هو هذا المَلَك، وهنا حتّى يختبره ربّ العالمين جلّ جلاله، فهو في دار ابتلاء واختبار، حتى سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، مكلف:-

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ---} [سورة البقرة: 285].

وهو ملتزم بالتكليف، وقال لنا ربّ العالمين عزّ شأنه اقتدوا به:-

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ---} [سورة الأحزاب: 21].

وهذا الموضوع سوف يتّضح أكثر في المرحلة الثالثة، أعني التفاعل مع أوامر الله عزّ وجلّ، فمَنْ هو أتقى هذه الأمّة؟

إنّه سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه القائل:-

(إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ) الإمام البخاري رحمه الله عزّ جاره.

وهنا لمحة خاصّة لي لا أقولها من باب العُجب والرياء نعوذ بالله تعالى، وامتدح نفسي، لا والله، لم أقرأها في كتاب، (أتقاكم لله) نفهم النصّ من قوله تعالى:-

{--- إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ---} [سورة الحجرات: 13].

فلا يوجد أكرم من سيّدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، لأنّه قال: (وَأَتْقَاكُمْ لَهُ)، وربّنا جلّ جلاله يقول:- {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}

فإذن: هذا الثقل مع هذا الجمال يحتاجه الدّاعي، أنا معك أنّ الدعوة إلى الله جلّ في علاه فيها تكاليف، قد تُوْدِي بدنيا الداعي إلى الله عزّ وجلّ، فكم من داعٍ فاتته الدنيا بسبب الدعوة، قد تُوْدِي بوظيفتك، براتبك، وربّما قد تُوْدِي حتى بحياة الداعي إلى الله جلّ جلاله.

إذن: هذا ثقل لا يتنازع فيه اثنان، لكنّ هذا الثقل طالما هو قائم على ساق الجمال، فما أحلى هذا الثقل، وما أزكاه، فلذلك يندفع الداعي إلى التحرّي والتثبّت لأجل أنْ يبدأ عمله على بصيرة:-

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ---} [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: 108].

فكلّ هذه المجاهدات التي تقرؤونها في هذه المرحلة لسيّد السادات عليه أتمّ السلام وأفضل الصلوات وآله وصحبه ذوي الفضائل والمكرمات، فيما يخصّ التثبّت، كلّها تجسيد لهذا الجمال.

وهنا عندي وقفة تخصّ السالكين، كل سالك إخوتي عندما يبايع المرشد يكون في حال روحانية هي نسبة من حال الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم وآله وصحبه المكرمين، يكون عنده نوع من الشعور بالجمال، نوع من الشعور بسعة الأفق، كم تدوم؟ الله تعالى أعلم، حسب الشحنة الروحية التي برقت من قلب المربّي، وحسب الصدق والإخلاص الذي كان في قلب مَنْ طلب وبايع، لِنَقُلْ:- إنّها استمرت يومًا أو يومين، ثلاثة أيّام، بعد ذلك كلّنا نقول:- كم كانت جميلة أوّل أيّام السلوك، ولكن بعد ذلك لا نشعر بشيء، وطبعًا هذه كلمة (ما نشعر بشيء) عليها تحفّظ، هو صحيح، وانظر إلى حال الحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، في فترة انقطاع الوحي، لماذا؟

لتأكيد أنّك في دار التكليف، وأنّك لابُدّ أنْ تجاهد نفسك، فأين بصمتك أيّها السالك؟ أين شخصيتك؟ إذا كنت تريد كلّ الرُّقِيّ وأنت نائم، تريد من المربّي والمرشد هو يرقّيك ويعطيك، فأين موضعك أنت في دائرة التكليف؟ فإذنْ السالك بعد سلوكه إن استمرّ بنفس الوتيرة، وأحسّ بنوع من الفتور فهذا أمر طبيعي، الله عزّ وجلّ يبتليه ليُظهر مدى صدقه وإخلاصه فأين شخصيته؟ وأين التزامه بقوله تعالى:- {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [سورة التوبة: 105]

فسيّدنا النبيّ صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه، في هذه المرحلة يشرّع لنا تشريعات كثيرة، منها هذه الصورة التي نقلتها لجنابكم.

وفي هذا اللقاء حقيقة أكتفي بهذا القدر، وأذهب إلى الآيات الخمس التي نزلت في غار حراء، نتبارك بالحديث حولها، وأرجو أنْ ننتبه إلى ما يلي:-

أوّلًا:- شخصية الداعي، فالنصوص التي سنتشرّف بها ستبدي لنا صورة وشخصية الداعي.

ثانيًا:- معالم الدِّين الذي يدعو إليه الداعي.

ثالثًا:- المعوّقات التي يُحتمل أنْ تظهر أمام الدعاة إلى الله عزّ وجلّ.

رابعًا:- الوسائل التي يمكن أنْ نتغلّب بها على تلك المعوقات.

خامسًا:- الصورة المتكاملة لمرحلة الحياة الدنيا إذا تحققت النقاط الأربعة الماضية.

بمعنى إذا تكاملت شخصية الداعي كما يريد الله عزّ وجلّ من خلال هذه النصوص، إذا ساد الدِّيْن الذي ندعو إليه على الأقل في كيانك البشري، أو في أُسْرَتِكَ، أو في مجتمعك، أو في جامعك يا سعد الله، وإذا استطعنا التغلّب على أغلب المعوّقات، وذلك بالوسائل الشرعية يعني (رابعًا) أي الوسائل بها نتغلّب على هذه المعوّقات، وليست باجتهادات مِنّا، لأنّ الاجتهادات إذا كانت ضمن ضوابط الشرع الشريف فعلى العين والرأس، وأنت مأجور يا سعد الله سواء كنت مُصِيبًا أو مخطئًا، ثُمّ الصورة التي ترتسم لنا في مرحلة الحياة الدنيا إذا التزمنا بما تعلّمنا وتفقّهنا.

ويا سبحان الله! يأبى الله عزّ وجلّ إلّا أنْ تكون النقاط خمسًا، فحافظوا عليها.

أنا لا أُحضّر لهذه اللقاءات، إلى وقت الاتصال لا أعرف ماذا أتكلّم معكم، فهي كلّها يمكن أنْ تسمّى محاضرات روحانية ذوقية، ولا يقول أحد إنّي تعمّدتُ ذلك وقصدته، لا والله يا إخواني، ولا يوجد داعٍ إلى القسم لأنّي أعلم والحمد لله تعالى أنّكم تثقون بي، ولا أقولها نعوذ بالله تعالى من باب رياء وسمعة، وإنّما بيان لطف الله عزّ وجلّ حتى نتعلّم ونطبّق.

والآن بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:-

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [سورة العلق: 1 - 5]

القراءة: هنا شخصية الداعي، ترفد لنا النقطة الأولى، تضيء لنا النقطة الأولى: شخصية الداعي، فالدّاعي لابُدّ أنْ يكون قارئًا، ما معنى القارئ؟ هو الذي يقرأ سطورًا أمامه، ويتفاعل ويتعلّم ويستبين ما فيها من علوم، وهذا المعنى العام لعوام الناس، وطلبة العلم، وبعض المنتسبين للعلم، لكن عند الراسخين في العلم ليس هذا المعنى فقط، هذه كلها بالإضافة إلى المراتب التي تنالها من بركة القراءة، والرّقي الذي يصيبك من بركة القراءة، سواء كان هذا الرقيّ في حدّ ذاتك وكيانك الإنساني، أو كان في تأثيرك بمَنْ يلونك من أهلك وأقربائك وأحبابك، ومَنْ تستطيع أنْ تصل إليهم من البشرية، بشكل تُرَقِّيْكَ وتُؤَهِّلُكَ للإمامة، وهل الإمام حاله كحال أيّ مصلٍّ عاديّ؟ فلماذا قال الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم:-

(يَؤُمُّكُمْ أَقْرَؤُكُمْ لِكِتَابِ اللهِ) الإمام البيهقي رحمه الله جلّ في علاه.

فليس معنى أقرؤكم هنا الذي يتلو فقط، وإنّما أراد أن يجمع كلّ مواصفات الرّقيّ والتقوى والإمامة في كلمة (اقرأ) وهذا هو المعنى الاصطلاحي للقرّاء في عهد سيّد الأنبياء عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الأتقياء، أي أميز الموجودين، وأرقى وأتقى الموجودين، هو هذا القارئ، هذا معنى (اقرأ) عند الراسخين في العلم وأهل الذوق.

(اقرأ) هذه وسيلة للرّقي، على أيّ مَعْلم تقوم؟ تقوم على معنى ومَعْلم الصلة بالله جلّ جلاله، فقد قال:-

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [سورة العلق: 1].

أي (بسم الله الرحمن الرحيم)، والذي أرجوه أنّ ما تحدثتُ به عن (بسم الله الرحمن الرحيم)، وضرورة الابتداء بـ (بسم الله) والحكمة التي قلتها وهي:-

(كُلُّ هَدَفٍ نَسْعَى إِلَيْهِ بِبِسْمِ اللهِ نُدْرِكُهُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى طَالَتِ الفَتْرَةُ أَمْ قَصُرَتْ)
وأرجو من الله سبحانه أنْ تكون عندكم عناية لهذه الحكمة، تجعلونها في منشورات، أو لوحات وتعلّقوها وتجعلوها أمام أنظاركم، وتدعوا النّاس إليها وفهمها، لأنّها تدلّ على حقيقه قائمة، وعلى تجربة لها شواهدها من الكتاب الكريم والسنّة المطهّرة، فنحن مسلمون والحمد لله رب العالمين، وبالتالي لا نرضى أنْ يقول أحدهم: هذه حقيقة إلّا إذا أتى بالأدلة، فهذا هو الدليل الأوّل على (أنّ كلّ هدف نسعى إليه بسم الله ندركه بإذن الله تعالى طالت الفترة أو قصرت).
إذن: حتى يكون الإنسان قارئًا يتبوأ بقراءته مراتبَ عالية تؤهله للإمامة:-
{إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ---} [سورة البقرة: 124].
{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [سورة السجدة: 24].
فمن أين جاءت الإمامة؟ من الصبر واليقين بمبادئ الإيمان، فهذا هو المعنى الدقيق عند أهل التحقيق لمعنى (اقرأ)، الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، أعلن عن بعثته لأهداف كثيرة، منها:-
هدف شخصي بارز جدًّا يتعلّق بشخص الحبيب صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه.
وهدف عام يتعلّق بإمّة خير الأنام عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين.
الهدف الشخصي: أنْ يغدو الأمّي عالمًا مُعَلّمًا متمِّمًا مكمَلًا بروحي وأبي وأمي هو عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، وهذا قد تحقّق:-
{--- وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [سورة النساء: 113].
{--- وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة: 151].
وهذه أكّدتُ لكم عليها للمرّة الثانية، إذن هو تعلّم وأصبح مُعلّمًا لكلّ الأجيال الإنسانية منذ بعثته صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وبدء التكليف، وإلّا فهو قبل البعثة متعلّم ومعلّم شيئًا ما، ممّا يرفد مجال الدعوة إلى الله عزّ وجلّ،

لكن هنا الارتقاء إلى مراتب القرّاء بالمعنى الذي بيّنتهُ في دار التكليف، بدون أي منازع، لا يوجد أي شخص على الكرة الأرضية متعلّم ومعلّم كسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، ولحد الآن كلّ المؤسسات والدراسات والمؤتمرات التي تنشط حول ما قاله وبيّنه الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وما فعله وسنّه، فكلّ هذه الدراسات والمؤتمرات والجامعات سواء أكانت مؤمنة أم كافرة تؤكّد هذه الحقيقة، بأنّه لا يوجد مَنْ هو أعلم منْ سيّدنا رسول الله عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين.

إذن هذا الهدف تحقق أم لم يتحقق؟ تحقّق لأنّه بدأ بـ (بسم الله) فمن الأهداف في الإعلان عن بعثته صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه، أنْ تخرج جزيرة العرب من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، وما شرّف سيّدنا رسولُ الله عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام الحياةَ الآخرة وصار في الرفيق الأعلى إلّا وقد خرجت جزيرة العرب من ظلمات الشرك ودخلت في نور الإيمان، أمّا أنْ يأتي أحد ويقول: هناك أشخاص قلائل لم يؤمنوا، نقول: هؤلاء ليس لهم وزن لأنّهم قلّة، فلا يقاس عليهم.

نحن نقول: السمة العامة أنّ جزيرة العرب بدأوا يدخلون في دين الله تعالى أفواجًا، وهذا ما أخبر عنه ربنا عزّ جاره في سورة النصر، بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:-

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [سورة النصر: 1 - 3]

وهذا الذي حصل في فتح مكّة وصلح الحديبية قبل فتح مكة، وبدأ الناس يدخلون في دين الله تعالى أفواجًا.

فإذن القراءة بهذا المعنى الدقيق، قائمة على قوّة الصلة بالله سبحانه، لابُدّ أنْ تنطلق يا سعد الله في ظلّ وبركة وهدايات بسم الله، مؤقنًا بأنّ الهدف لابُدّ أنْ يتحقّق، طالت الفترة أم قَصُرت، وأترك المجال لعقولكم الخصبة، وقلوبكم

الذاكرة، تجول متبرّكًا ومتشرّفًا في نصوص الكتاب العزيز والسنّة العطرة؛ لاستخراج الشواهد والأمثلة، ربّ العالمين جلّ جلاله قال:-

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}

الصفة المختومة المذكورة آخرًا لله جلّ في علاه في هذه الآيات الخمس هي صفة الأكرم، فالصفة الأولى هي صفة (خالق) {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}

هنا العلم تأكيد للتعليم الأوّل، تأكيد للقراءة التي هي من وسال العلم، ما هي الصفة الأخرى التي لم تذكر من قبل؟ إنها صفة الأكرم.

كأنّ الله جلّ في علاه يقول للإنسان:-

بدايتك، بداية مراحلك من علق، ممكن أنْ ترقى فتأخذ من تكريم الله تعالى ما يليق بك، كيف؟ بمجاهداتك، بأخذك بالوسائل، فتنال كرم الله سبحانه على مقدار مجاهدتك، وثُمَّ بما يليق بكرم الله جلّ وعلا الأقدس، تبارك ربّنا وتعالى وتقدّس.

طبعًا هدايات كثيرة في هذه الآيات الخمس، ربّما أعود إليها وإنْ كنت لا أرغب أنْ أطيل كثيرًا، لأجل أنْ أحفزّكم للدراسة والتنقيب والتأكيد، وأقول مرّة أخرى وأرجو أن لا تنسوا هذه الوصية، لا لأجل الترف الفكري، لا وإنّما لتنمية الذوق في الجانب التطبيقي.

فإذن:-

(كُلُّ هَدَفٍ نَسْعَى إِلَيْهِ بِبِسْمِ اللهِ نُدْرِكُهُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى طَالَتِ الفَتْرَةُ أَمْ قَصُرَتْ)

وصلّى الله تعالى وسلّم على سيّدنا محمّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.